النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

ج.ع.م.

من : سامي خشبة

((مجلة ٦٨)) او جيل اليوم ومهام المستقبل

ما هو الهدف من اصدار مجلة ادبية جديدة في مدينة مثل مدينة القاهرة ؟ ليس هذا سؤالا مجرداً اطلقه بهدف التأمل ، ولا بهدف ان احصل على مبررات اصدار مجلة ، وانما هو سؤال وجدته ضروريا بعد ان قرأت العدد الاول من ((مجلة ٦٨)) التي أصدرها في القاهرة مجموعة من المثقفين الشبان .

ما الذي يهدف اليه هؤلاء الشبان من اصدار مجلتهم التي تحمل اسم العام الذي نحن فيه ، كأنما نريد أن تقول انها المجلة التي تنطق بصوت آخر لحظات عصرنا ؟

ليس من الممكن ان نحصل على جواب اسئلتنا من اسم المجلة وحده ، فلننظر ما قاله رئيس تحريرها الاستاذ احمد مرسي في تصدير عددها الاول ، يقول : ((يعيش الوطن العربي في هذه الايام تجربة مخاض عظيمة واليمة . ذلك لان النكسة العسكرية التي حلت بأمتنا لم تكن نهاية في حد ذاتها بل كانت الثمن الفادح للوقوف على الحقيقة عارية . وهذه الحقيقة هي الارض الصلدة التي نقف عليها بأقدامنا اليوم في انتظار لحظة الميلاد الجديدة . وبصدور العدد الاول من ((مجلة ٦٨)) في ظل الاحداث التاريخية والمصيرية التي تشهدها البلاد ، لا يسع المجلة الا ان تقطع على نفسها عهداً بأن يكون لها شرف وضع لبنة متواضعة في صرح الوطن الاشتراكي الديموقراطي الحر الجديد . وعلى الرغم من ان ((مجلة ٦٨)) ليست مجلة سياسية ، فهي تؤمن بانها لو نجحت في الكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم تكون قد اوفت بالعهد الذي قطعته على نفسها بالمشاركة في معركة التحرير والبناء ...)) .

رئيس التحرير يقول اذن ان المجلة تريد ان تشارك بلبنة متواضعة في معركة تحرير بلادنا وبنائها بعد النكسة ، وان طريقها الى ذلك هو ان تكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم . ولكننا نقول ان الحق هو ان العدد الاول لم يعبر الا عن جماعة واحدة من جماعات هذا الجيل الكثيرة والمتباعدة والمشتتة ، فلم يكن هذا العدد تعبيرا عادلا عن الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء هذا الجيل . والحق ايضا ان كلمات من ((جيل اليوم)) والرغبة في ((وضع لبنة متواضعة في صرح الوطن الاشتراكي الديموقراطي الحر)) انما ينتميان الى ذلك النوع من الكلمات الفضفاضة التي تطالب دائما بالتحدد الحسي من خلال ((المواقف العملية)) . ونحن نعرف ان المواقف العملية بالنسبة للكتاب هي كتاباتهم . ونحن نعرف ان الكتابات التي يمكن ان تكون مواقف عملية تصل دلالتها الى درجة من الشمول تسمح لصاحبها بأن يخرجها الى الناس ، وتتيح الفرصة للناس لكي يجدوا فيها ما يتقاسمونه او يشتركون فيه ، هذه الكتابات لا يمكن ان تكون ثمرة مجرد الرغبة في التجديد ، او مجرد الطموح الى اساليب جديدة للتعبير ، كما انها لا يمكن ان تكون ثمرة مجرد قراءة الكتب او الاحساس بالغضب او الاختناق ... في ظننا ان مثل تلك الكتابات لا بد لها من هذا كله ، ولكنها أيضا تحتاج الى سندها من ((تجربة)) الكاتب مع الواقع نفسه، تجربة عاشها ويعيشها بيده وعقله ووجدانه جميعا ، تجربة تجعله على علاقة جدلية مع هذا الواقع ينفعل به ويفعل فيه حتى تتحقق لهذا الكاتب فعاليته ، وحتى تصبح كلماته موقفا من هذا الواقع يستحق ان يخرجه الى الناس .

ولكن فلننتقل الى العدد الثاني من المجلة (يونية ٦٨) فنراه يحمل تذييلا على ظهر غلافها الخلفي يقول : ((ما تنشره ((مجلة ٦٨)) لا يعبر بالضرورة عن رأي هيئة تحريرها والمجلة لا تصدر عن جماعة مغلقة على ذاتها ، ولا تقتصر على كتاب بعينهم . بل تفتح صدرها في ترحيب كامل وحقيقي لكل تجربة طليعية او جديدة ، بكل نتاج للكتاب الجدد الذين يرتادون طريقا صعبة الارتياد . لا تشترط في ذلك كله ((وجهة نظر)) ما ، او ((موقفا)) بالذات ، او ((مدرسة فنية او فكرية)) محددة ، ما دامت فيه اصالة وتعبير عن مناخ الكتابة الجديدة في وطننا ، ما دام ملتصقا بنبض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا ، وما دام منبثقا عن نبع الابداع الذي نؤمن انه لا يغيض ابدا في هذا الوطن)) .

ونحن نعتقد ان هذا كلام نصفه الاول مائع شديد الميوعة ، ونصفه الاخير ينم عن نية طيبة وان كان غامضا شديد الغموض . ونحن نعرف ان محاسبة جماعة من الناس على ما يحملونه من شعارات ستكون محاسبة واهية السند ضعيفة الحجة ، اذ لا بد وان يحاسب الناس على مواقفهم واعمالهم اولا وتأتي الشعارات في مرتبة تالية . ولكننا ازاء جماعة تعلن انها ليست جماعة منغلقة على ذاتها ، علاوة على ما تنم عليه مواد العددين اللذين صدرا عن المجلة عن ((موضوعية)) الاختيار من جانب ، ومن افتقاد فعلى لتيار موحد أو متقارب يلم شتات كتابها من جانب آخر .

هناك من بين هؤلاء الكتاب من لا يزالون يخبون في بداية الطريق لم يقدموا من انتاجهم ما يسمح بالحكم له أو عليه حكما نهائيا او ما يسمح بأن تتحول كتاباتهم الى قيمة ثابتة او ان يتحولوا هم الى قيم ثابتة يمكن محاسبتهم بناء على تاريخ كامل لاحدهم . وهناك من بين هؤلاء الكتاب من سبقوا بتجربتهم ومساهمتهم في خلق ((تيارات)) سابقة تحقق لها الكثير من التحديد والتماسك . هناك على سبيل المثال الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي كان رائدا من رواد الواقعية الاشتراكية ، والذي ما يزال يضرب في ابعاد عوالم الفن الشاسعة في جرأة واصالة كبيرتين . جرأة تدفعه اليها روحه الطموح وقلقه العظيم وانسانيته الشائكة . واصالة تكفلها تجربة عريضة وعميقة وجياشة خاضها البياتي في غير وجل عبر اكثر من مرحلة تاريخية وفي اكثر من بلد ، بقدر ما يكفلها له موقف تاريخي محدد وانتماء ناضج ونضالية شجاعة وخصوبة فنية وفكرية يتحول بهما الشاعر الفرد الى سمة مميزة من سمات عصره وقيمة فنية ثابتة من قيمه وشاهد على ذلك العصر وضحية له في وقت واحد .

ورغم ما يملكه البياتي من تجربة تتحول باستمرار الى قيمة ثابتة ـ وليس من حقنا ان نقول تحولت ـ الا ان جراته واصالته ، هما ما يمنحانه الحق والقدرة على الوقوف الى جوار الجديد من الثقافة والفكر في بلادنا دائما . الا ان هذه الظاهرة نفسها هي ما تؤدي بنا الى التساؤل عن مدى ما يتمتع به هذا الجيل الجديد من كتاب ((مجلة ٦٨)) الذين لا يملكون ما يملكه البياتي من تراث شخصي وتجربة سابقة منضجة وانتماء متطور وواع وثابت الى تيار على قدر كبير من التحدد ، اقول اننا نتساءل عن مدى ما يتمتع به هؤلاء الكتاب من وحدة فكرية تتيح لهم ان يشكلوا في النهاية تيارا ، لا وجهة نظر ولا موقفا ولا مدرسة .

ربما وجدنا الاجابة على تساؤلنا في العدد الاول من المجلة في تأملات حسن سليمان التي جاءت دونما عنوان غير اربع نقاط سوداء محصورة بين قوسين !! وحسن سليمان نفسه فنان تشكيلي موهوب الا ان تأملاته لا توحي بانه وثيق الصلة بمسالة التفكير التأملي المنظم التي

حاول ان « يفعلها » في تأملاته تلك . ولكننا قد نجد في تأملاته فكرة صادقة هنا او هناك . فرغم كل توهانه القصير المدى بين اهم مشاكل الفلسفة المعاصرة تقريبا مشاكل الحرية والالتزام والاغتراب والتشابه وعلاقة السلطة بالفرد وعلاقة الالزام الجماعي بالمبادرة الفردية ، هذا التوهان الذي لم يستغرق اكثر من سبعين سطرا تضمنت الكثير من التناقضات والتصورات الوهمية عن افكار « عميقة » ، ورغم كل هذا فالاجابة التي تنشدها عند حسن سليمان هي تصوره الصادق عن نبوع التيار الفكري الواحد او المتقارب لدى الجيل الواحد من خلال وحدة تجربة هذا الجيل الانسانية . ونحن نفهم وحدة التجربة على أنها وحدة معاناة او وحدة مصادر هذه المعاناة اذا شئنا ان نحافظ حتى في المحصلة النهائية على تفرد كل واحد من ابناء هذا الجيل . ولعل هذه المحافظة على ذلك التفرد هي التي افلتت من حسن سليمان في النهاية حين رأى ان التيار الفكري الواحد يعني مدرسة فنية واحدة تجمع الجيل كله . انه اذ يبدأ بالدفاع عن الفردية الحرة والشجاعة التي تعي ذاتها في اطار مصالح الجماعة ومطالبها واحتياجاتها ، فانه ينتهي الى التنبؤ المتفائل السعيد بذوبان هذه الفرديات في مدرسة فنية واحدة متصورا ان هذا الذوبان يمكن ان يأتي نتيجة للتطوع الشخصي من جانب كل فنان فرد . ولذلك فان هذا الجيل المستمرد على ما يؤيد الابداع والمبادرة الفردية ، وعلى قولبة الافكار وحصرها وتقييدها بأغلال النظريات الفلسفية أو المدارس الفنية ، هذا الجيل نفسه يتضح انه لا يخلو احيانا من بذور تعنت فكري او رغبة في تسوية نفسه في النهاية واعتبار نفسه الحقيقة الاخيرة أو الوحيدة في سلسلة طويلة من المحاولات السابقة القاصرة عن بلوغها . وربما كانت هذه البذور اثارا مترسبة خفية من كتب قديمة كانوا قد قرأوها قبل ان يقرروا اعلان التمرد ورفض القيود ، مهما وضعوا من كلمة « تطوع » بدلا من كلمة « تعبئة » او « تجنيد » ، او كلمة « التزام » بدلا من « الزام » . وبذلك ايضا نصل الى النقطة التي تسمح لنا بتوضيح ملاحظاتنا عن استخدام عبارات مثل : جيل اليوم ، ووضع اللبنة في صرح الوطن ، وما قصدناه بالكلمات الفضفاضة والتحدد الحسي والميوعة .

اننا نعتقد انه لم يوجد جيل لم يكن هو جيل اليوم بقدر ما لم يظهر جيل لم يصبح هو جيل الامس . والحقيقة ان الحديث عن الاجيال يمكن ان يكون حديثا بعيدا عن التحديد اذا هو لم يرتبط بمفهومات واضحة عن التطور الاجتماعي والفكري الذي حققته تلك الاجيال . وبديهي اننا لا نقصد بكلمة جيل اليوم ، ولا نظن ان احمد مرسي او ايا من هيئة تحرير المجلة ، يقصدون بها ـ فقط ـ اولئك الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين ـ وعذرا للاصدقاء من هيئة التحرير او من الكتاب اذا قررت هنا انني اعرف ان عددا منهم قد تجاوز بالفعل سن الثلاثين . وعلى ذلك فاننا نقصد بتلك الكلمة الجيل الذي ما يزال يستطيع ان يمارس تجربة الحياة الواقعية في بلادنا بكل ما تجيش به ، وان يعكس تلك التجربة بصدق في انتاجه ، أيا كان « عمر » من يستطيع هذه الممارسة . ولكن الحديث عن الصدق انما يتطلب الحديث ايضا عن التجربة الفردية التي لا تتمتع بأية دلالة اجتماعية ، ثم عن التجربة الفردية التي تتمتع بمثل هذه الدلالة . كذلك فان الحديث عن الصدق انما يتطلب الوقوف عن اتجاه هذا الصدق ونوعه بقدر ما يتطلب الوقوف عن قيمة هذا الصدق وهي القيمة التي لا تتحدد الا من خلال قيمة التجربة ذاتها . واذا كان باستطاعة هيئة تحرير المجلة ان يقولوا انهم لا يشترطون وجهة نظر ما ، او موقفا او مدرسة فكرية او فنية ينتمي اليها او يتبناها الانتاج الذي قد ينشرونه في المجلة ، فلسنا نعتقد ان هيئة التحرير او افرادها لا يتبنون هم كافراد وجهات نظر « ما » ولا مواقف ، او انهم لا يمكن اعتبارهم منتمين الى اتجاهات او مدارس فكرية وفنية . ولكنهم في الوقت نفسه ليسوا في الوضع الذي يسمح لهم باتخاذ موقف التقييم العلني من وجهات نظر الآخرين او مواقفهم او مدارسهم الفكرية او انهم على الاقل يتحاشون ان يكون هذا التقييم وظيفة من وظائف المجلة . فهم من جانب ، ككتاب ومفكرين وفنانين مهما كان من حداثتهم يحملون وجهات نظر خاصة بهم ، وهم من جانب آخر يرفضون الدخول في صراع مكشوف مع وجهات النظر « الكبيرة » الاخرى ، الثابتة القديمة ، وقد يكون لهذا الموقف الغريب دافع من دافعين : اولهما انهم يفضلون الارتباطات الشخصية على الارتباطات الفكرية ، وقد يفسر هذا الدافع نشر قصتين في العدد الاول لكاتب اسمه « ابراهيم عبد العاطي » ، احداهما وهي قصة « كل الشخصيات تخيلية » قصة رديئة فعلا ولا تتمتع بقيمة ما سوى قيمة غرابتها وشذوذ تركيبها ، أما قيمتها الاخرى فهي ان « ابراهيم عبد العاطي » احد اعضاء « سكرتارية تحرير » المجلة . ولعل هذا الدافع نفسه هو ما جعل المجلة في عددها الثاني تنشر خمس قصائد دفعة واحدة لرئيس تحريرها الذي لا نعرف له اثرا شعريا بارزا ، وهو الذي تجاوز الثلاثين من عمره بالتأكيد ، وهو الذي يكتب الشعر كما يقرر بنفسه في تواريخ قصائده منذ سنة ١٩٥١ . ولعل هذا الدافع ايضا هو ما جعل المجلة تنشر في العدد الاول كلاما للصديق خليل سليمان كلفت تحت عنوان « عين سين ـ شعر » لم أجد احدا في القاهرة يستطيع ان يشرحه لي ، ربما لقلة ذكائي ، وربما لانعدام من يفهمون في مسألة « الشعر » في القاهرة . ونحن لا نعتقد ان احمد مرسي يختلف كثيرا عن الشعراء الكثار الذين نشروا اشعارهم منذ ١٩٥١ حتى الان دون أن يتركوا في عالمنا الشعري اثرا عميقا فصمتوا او ظلوا يكتبون الشعر دون ان يحس بهم أحد . كذلك لا نعتقد ان ابراهيم عبد العاطي كواحد من ابناء جيل أليوم يفضل اي واحد آخر من ابناء هذا الجيل من كتاب القصة القصيرة ، بالمفهوم الاجتماعي التاريخي أو بالمفهوم الزمني المباشر . ولا نعتقد ان لكلام خليل كلفت قيمة فنية على الاطلاق ، ولا نعتقد ان هذا الكلام فيه شبهة من اصالة الا اذا كانت الاصالة هي الاغراب والتعمل والمعاظلة . ولا نعتقد ان فيه تعبيرا عن مناخ الكتابة في وطننا ولا نظنه ملتصقا بنبض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا . علاوة على انه بالقطع ليس منبثقا عن أي نبع من ينابيع الابداع الذي نشارك هيئة تحرير المجلة في الايمان بأنه لا يفيض ابدا في هذا الوطن .

الدافع الثاني الذي نظنه لذلك الموقف الذي ذكرناه ، هو حرص هيئة تحرير المجلة على « الموضوعية » او « الحياد الفكري » . وها هنا لا بد لنا من التوقف عند شعار الالتصاق بنبض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا الذي كان ضمن شعارات التذييل على الغلاف الخلفي للعدد الثاني من المجلة . ان نبض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا ، ولا ريب ان هيئة تحرير المجلة وكتابها من بينهم ـ لاينبع من العدم ولا يسري في الفراغ ، تحسب انه ينبع من خلال الواقع المنقسم المتصارع ، ويسري في خلال هذا الانقسام وذلك الصراع . كذلك فاننا نحسب ان الشيء لا يخرج من أصله لكي يرتد ثانية الى اصله كما كان اول مرة . فما دام الاصدقاء من هيئة تحرير المجلة ومن كتابها هم من بين مثقفي وكتاب بلدنا فان شعارهم لا يعدو ان يكون تحية مجاملة وتودد الى بقية المثقفين والكتاب ، وليس شعارا نابعا من موقف فكري محدد او على اساس الارتباط بينبوع الفكر والحس في بلادنا ، ينبوع الواقع اليومي والتاريخي العريض والشاسع لشعبنا نفسه ، المنتج الاول والرئيسي لقيم الثقافة والفكر ، او على اساس الارتباط بقضية تطوير ثقافة شعبنا وافكاره واحاسيسه ، الشيء الذي ينم لا عن موضوعية او حياد فكري ، وانما عن رهبة عقلية وخوف من الصراع الفكري الحاد الذي يدور الآن على ارضنا بين كل فكر انساني وتقدمي وبين كل فكر متخلف ومعاد للانسان . فهم اولا اذ يرفعون شعار الحياد الفكري بينما لا يستطيع الواحد منهم أن يكون محايدا فانما هم يعبرون عن رهبتهم من الدخول في الصراع القائم بين الاطراف التي يعلنون حيادهم بينها . والصراع الفكري القائم في الحقيقة لا يدور في حلبات المثقفين وحدهم ، وانما هو يدور على مسرح مجتمعنا كله ومن أجل السيطرة على هذا المسرح الخصب الشاسع ، قد لا يتخذ

الصراع أشكاله الكلامية الحادة الا في حلبات المثقفين ولكن هذا الصراع ايضا لن يتخذ شكل الهدنة ولن تجنح اطرافه الى المصالحة الا في حلبات المثقفين ايضا . ولكن الشيء الذي يدعو الى الدهشة هنا هو ان من يرفعون شعار المهادنة الفكرية ، ومن يرهبون الصراع هم من يفترض انهم المتمردون على القيود القديمة ، هنا في الحقيقة يمكننا ان نكتشف قيمة ذلك التمرد واتجاهه الحقيقي . انه تمرد يرفض القيود القديمة حقا وينظر الى القديم كله .. كله باعتباره قيوداً ولكنه تمرد لا يقبل في الوقت نفسه ان يتحمل مسؤوليات جديدة . وهذا الموقف في جوهره ليس موقفا فكريا لان اصدقاءنا أعضاء هيئة التحرير ومعظم كتاب المجلة يحملون كأفراد افكارهم ووجهات نظرهم التي يكتبونها فعلا وتتبدى من خلال أعمالهم . ولكنهم حين يفكرون في نفسهم كجماعة يرفضون أن يكونوا جماعة منتمية حتى لا يتهمهم الناس بالانغلاق واضعين الانتماء بهذا الشكل في مواجهة التفتح وهم بهذا لا يثيرون الشكوك الا في نوع انتمائهم لان الانتماء الذي يتناقض مع التفتح هو انتماء دوجماطيقي ومتعصب وضيق الافق .

ومن ناحية أخرى فان ذلك الموقف هو في جوهره ايضا موقف اجتماعي او هو موقف يعكس موقفا اجتماعيا لان هؤلاء الاصدقاء في معظمهم مثقفون متباعدون عن حركة الواقع الاجتماعي الحية والحقيقية يحصلون على معلوماتهم من وسائل الاعلام اليومية ولا تتحول هذه المعلومات الى ادراك كلي للواقع الذي يعيشون على اطرافه والذي يوجب عليهم ان يحددوا انتماءهم بين قواه سواء تصارعت هذه القوى وكان الصراع هو قانون علاقاتها والظاهرة السائدة فيه ، او تصارعت تلك القوى وكان التحالف هو حكم علاقاتها وقانونه ، ثم ان يعلنوا هذا الانتماء ويصارعوا من فوق أرضه المحددة . ونحن ايضا لا نقصد انتماء فكريا في الاساس وانما نقصد انتماءهم الاجتماعي ، ولا نقصد ان يترك هؤلاء الاصدقاء اعمالهم العادية أو مقاعدهم على المقاهي حتى يصبحوا جزءا واضحا من الحركة الاجتماعية وحتى يحددوا لانفسهم مكانا واضحا من حركة هذه القوى واستقطاباتها ، فانهم شاؤوا او ابوا ، جزء من هذه الحركة وصدى من اصدائها . ولكننا نقصد ان يحاولوا تحقيق الوعي الشامل بتلك الحركة الاجتماعية وان يعوا موقفهم ومكانهم من هذه الحركة ومن القوى المكونة لها والمشتبكة فيها . ان رهبة الصراع لن تعفيهم من مغبة الصراع نفسه ، كما ان الحياد الفكري كجماعة ـ هذا الحياد الوهمي في الحقيقة ـ لن يعفيهم من انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية كأفراد . وبذلك يمكنهم ان يحددوا ما يقصدونه بعبارات من نوع جيل اليوم لانهم سيتمكنون من تحديد ملامح هذا الجيل والتزاماته من خلال اكتشافهم لما يمزق الواقع الاجتماعي بكل الاجيال التي تعيش فيه من صراعات وتناقضات . وسيتمكنون حقا من وضع لبنة في صرح الوطن لان الوطن يحتاج الى وعي علمي وادراك شامل لما يوضع في بنائه من لبنات ولمن يشترك في وضعها . وسوف يحصلون على تحديدهم الحسي من خلال تحديدهم لمكانهم من الصراع الاجتماعي والفكري الدائر في بلادنا ، ومن خلال اكتشافهم لوهمية أي نوع من الحياد في ذلك الصراع . وبالتالي سيتمكنون من التخلص من تلك الميوعة الفكرية التي يظنونها رحابة وتفتحا بينما هي في الحقيقة ليست اكثر من استسلام ضعيف لعفوية كل ما يقرره الواقع من تيارات جماعية او ظواهر فردية .

وفي النهاية فليس هناك ختام افضل من العودة الى ما قرره حسن سليمان في تأملاته في العدد الاول من « مجلة ٦٨ » ، رغم ما قد نختلف حوله فيما سنقتبسه منه . يقول : « اذا جمع كل الفنانين والكتاب والموسيقيين تيار فكري موحد وحاجة ملحة واحدة . واذا اصروا مجتمعين على تثبيت هذا التيار . ذلك هو التجاوب الطبيعي للتطوع . النتيجة أن هذه المدرسة الفنية ستجد طريقها للنور بأسرع مما يتصور احد بل ستكون دعامة للمعركة السياسية » .

ونحن نرجو لهؤلاء الاصدقاء الكتاب والفنانين والموسيقيين ان يجمعهم تيار فكري واحد نابع من جماع تجاربهم الفردية الاجتماعية المشتركة ونابع من اكتشافهم لاحتياجاتهم الحقيقية واحتياجات وطنهم حتى يستطيعوا ان يكونوا دعامة للمعركة السياسية ، وجنودا حقيقيين في كتيبة صلبة في كل معركة .

طلائع معركة ...

واذا كان أبناء « جيل اليوم » مشغولين بمحاولة احتلال مكان لهم تحت الشمس ، بمجلتهم ومناقشاتهم وما يقدمونه من انتاج ابداعي فعلي وما يعتمل في رؤوسهم وصدورهم من افكار وامنيات ، فقد شغلنا بعض من اساتذتنا ، من جيل الامس واليوم ايضا ، بمناقشة دارت أيضا حول قيم مجتمعنا ومؤسساته الرسمية . ونحن نقصد تلك المناقشة التي دارت بين الدكتور لويس عوض والاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ، اذا كان لنا ان نسمي ما دار مناقشة . فالدكتور لويس عوض يعرض افكاره عن المجلس الاعلى لرئاسة الفنون والآداب ويعرض انتقاداته وملاحظاته عن هذا المجلس ويعلن ان هذا المجلس لا بد من تغييره ولا بد من اقامة « المجلس القومي للثقافة » على أسس مغايرة وان يقوم بأعماله بمناهج مغايرة ، وان ينشغل بالمشاكل الكبرى الحقيقية التي تعانيها ثقافتنا القومية ، مشاكل التراث والعلاقة بين الاجيال وبين الجديد والقديم ، وتشجيع الجديد دون محاولة للسيطرة عليه وكبته وان لم نتخل عن محاولة توجيهه وضبطه .. الخ . فيقاطعه الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ويهاجم افكاره وينقد انتقاداته مدافعا عن المجلس الاعلى القائم معلنا ان هذا المجلس قد طبع بضع عشرات من الكتب والرسائل الجامعية . فلا يبالي الدكتور لويس عوض ان يرد على هذه المقاطعة وانما يمضي في سرد مطالبه وانتقاداته وافكاره التي جاءت كلها « بمناسبة » المجلس الاعلى والمجلس القومي .

وما يزال الدكتور لويس عوض يستكمل افكاره ، ولذلك فاننا نرجو ان تعرض لهذا الموضوع الحيوي في الرسالة القادمة التي نرجو ان يحين اوانها مع بداية تحديد شكل المجلس الجديد وتحديد وظائفه.

القاهرة — سامي خشبة

السّودان

قضايا وهموم ثقافية !

***

في السودان مسرح قومي واحد انشأته حكومة الانقلاب العسكري وتم بناؤه في السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٥٩ . ومهما كان الراي في الحكم العسكري الذي انتهى بارادة الشعب ، فان انشاء هذا المسرح يظل احدى حسنات ذلك الحكم . ومع ان المسرح هو الفن الوحيد الناجع في علاج الادواء المميتة التي تنتشر بين سكان قطر تساوي مساحته مليون ميل مربع ، وهو الذي مفروض فيه ان ينمي فينا وجهات النظر المتباينة في حياة اهل العصر الحديث والعتيق ، ويعطينا المثال والانموذج الذي نفصل عليه زينا وذوقنا ووجودنا ،فان هذا المسرح ظل قابعا في عاصمة المليون ميل مربع وحيدا يتيما وحائرا، وغير مدرك لدوره ووظيفته الخطيرة .

ان حصاد هذا المسرح طيلة هذه السنوات العجاف بضع مسرحيات من تأليف كتاب مجتهدين جعلوا جل همهم معالجة قصص مسرحية (كلاسيكية) تدور حول تاريخ قبائل السودان كمسرحية (الملك نمر) فارس قبيلة الجعليين ، و (تاجوج) الفتاة الفاتنة الجميلة التي دلهت ابن عمها و (دمحلق) ، وهي على نمط قصص العشاق القدامى امثال توبة الخفاجي ومجنون ليلى واضرابهما من مجانين العشق والغرام .

ذكرنا للمثال وحسب هاتين المسرحيتين ، وهما لكاتبين مجتهدين احدهما شيخ يدعى ابراهيم العبادي ، يجتهد في نظم الاغاني ويسهم

في دعم المسرح وفي ذهنه ـ بحكم السن ـ المحافظة على قيم (كلاسيكية تخلفية) عتيقة تواضع المجتمع السوداني على تقديسها والتيبس على هياكلها البالية . اما قصة (الحب) الثانية فان مؤلفها ايضا شيخ مجتهد يعنى كثيرا بالقضايا التريخية . وما قصدنا بتقديم هذا المثال الا لكي نعطي فكرة عابرة عن نظرة مؤلفي المسرح للحياة في السودان.

صحيح ان مسرحية (الملك نمر) مسرحية لا باس بها من حيث المضمون ، فهي حافز للبطولة والرجولة والبطش والضراوة ولكن حصاد المسرح بصورة عامة يعتبر هابطا لخلوه من اية مسرحية من المسرحيات المثيرة التي تشكك في القيم الراهنة الممارسة ، او في استشراء الفساد والرشوة والمحسوبية ، واستهتار السلطات الحاكمة باشياء مصيرية قد يدخل في صميمها (التجسس) وكل عيوب الانتهازية وانعدام الوطنية وضبابية المصير .

نعم عنينا بهبوط المسرح وانخفاض مستواه خلوه من التشكيك في مثل هذه المفاهيم الضارة التي اضحت مع الايام واستمرارية التعود لا تثير احدا ولا تستوقفه .

ان قضية المسرح السوداني في الوقت الراهن ، وهو ما يزال مسرحا غضا صغيرا ليس في الحجم ، بل في المستوى والمنهج والمضمون ـ ان قضيته ليست منحصرة في اكتشاف الخط الذي ينبغي أن يفصل بين الفن الرديء والمتوسط وبين الفن الجيد العظيم. فقد درجت الجمهورية العربية المتحدة ، وهي شقيقة كبرى ولا داعي لشكرها ، على ان ترسل فرقها الفنية باستمرار لمسرح السودان القومي ، ويقيني أن هذه البعثات اخذت توحي للمسؤولين في السودان باهمية رسالة المسرح ، وهي خطوة لا يمكن ان نفرط فيها . ففي اول ابريل الماضي من هذا العام زارت السودان فرقة المسرح الكوميدي وعرضت على المسرح القومي السوداني مسرحية (سفاح رغم انفه) ثم اعقبتها في شهر مايو الماضي مباشرة فرقة المسرح القومي وبدأت في عرض انتاجها من يوم ٢١ مايو ١٩٦٨ بام درمان فقدمت مسرحية (سكة السلامة) وهي من تاليف الاستاذ سعد الدين وهبه ، اعقبتها بمسرحية (عيلة الدوغري) لنعمان عاشور ، ثم (حلاق بغداد) لالفريد فرج ، وقد عقد هؤلاء الاخوة مؤتمرا صحفيا بمكاتب وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية ، تحدث فيه كل من : سعد الدين وهبه ، والفريد فرج ، وامال المرصفي مدير الفرقة ، عن اهمية رسالة المسرح ، وضرورة تعميمه في الريف والقرى واتساع دائرة اختصاصاته مدعما بوسائل التثقيف المختلفة .

لقد كان الاخوة الثلاثة يتحدثون عن الوضع في الجمهورية العربية ، وعن مركزية الثقافة سابقا في القاهرة ، وكانهم يتحدثون بلباقة عن وضعية الوطن السوداني ، وعن تكديس هذه الاجهزة الثقافية في مدينة الخرطوم وحدها .

صحيح ان الوضع كان في الجمهورية العربية ، قبل ثورة ٢٣ يوليو شبيها بالوضع في السودان حاليا ، اذ كانت القاهرة وحدها هي التي تحظى بكل شيء ، مع خلو الريف المصري والمدن الصغيرة من اي مظهر ثقافي فكري ، على الرغم من ان الريف وحده هو المصدر الحقيقي للطاقات الانسانية الفتية والملكات الفنية ، وكل ما يمكن ان يخلق من الامة قوة وحيوية .

اما اليوم فان وحدات مجهزة بآلات السينما المتجولة والمسرح تجوب انحاء الجمهورية العربية فتنشر الوعي والثقافة بين المواطنين في كل المدن والقرى والارياف .

والقضية التي تواجهنا الان قضية واضحة ، وقد انتهى الشعب السوداني من معركة الانتخابات ، ودفع الى مناصب السلطة والبرلمان بخيرة ابنائه ، وها هي ذي حكومة جديدة ذات اتجاهات وطنية قومية عربية واضحة تتسلم زمام الحكم . ولذلك نريد منذ اللحظة الراهنة ان تبدأ هذه الحكومة وان نبدأ معها في طرح المشاكل ومناقشتها . لان المشكلات الجادة الحقيقية لا تبدأ ولا تقوم الا بعد ان تجد من يشرع في اصلاحها فعلا . فنحن لا نريد أن نعيش في أكبر رقعة من الارض ، لا تمس اهلها لمسة التطور والتوعية والتثقيف ، نقول ذلك ورغبة عميقة تحدونا لدفع التقدم بكل ما لدينا من امكانات ، على أن لا تتكدس كل هذه الامكانات في مدينة الخرطوم كما هو حادث الان : الاذاعة بما تبثه من فج وضحل وغير جاد لا تصل بوضوح الى جميع ارجاء القطر ، والتلفزيون محصور ببرامجه في مدينة الخرطوم لا غير ، والصحف وكتابها وكل ما يثار على صفحاتها هو من مشكلات الخرطوم، ورحلات الحكام وتحركاتهم وحسب وبالاختصار فان كل ما كانت تعانيه الجمهورية العربية قبل نهضتها العظيمة الراهنة هو معاناتنا الان .

لقد قال الاستاذ الفريد فرج في ندوة بمنزل الاستاذ عبد الله حامد الامين ، ان أحد الخبراء الروس قد اكتشف لهم في ريف مصر عازفا للربابة يدعى (مثقال) ، عازف ربابة فقط ، ولكن اهتمت الدولة بهذا العازف العظيم ، واعتمدت له معاشا شهريا قدره مائة وخمسون جنيها على أن تكون مهمته وحسب تدريس بضعة شبان جامعيين العزف على الربابة ، باعتبار ان هذه الظاهرة الشعبية (الفلكلورية) من المحتمل جدا انقراضها ان اهملت . ولذلك لا بد من حمايتها وتطويرها.

وفي السودان الذي يبلغ طوله وعرضه مائة مليون ميل مربع ، وبما فيه من قبائل متعددة الخصائص والعادات ، لم تقم اية حكومة من الحكومات التي تعاقبت عليه بالتفكير ، مجرد التفكير في امر كهذا.

اننا لا نريد ان نكلف الدولة بالمستحيل ، ولكن مجرد التفكير وتحديد نقط البداية في مجالات الاصلاح تطمئننا وترضينا ، بشرط ان نحرص على ان يكون الاصلاح علميا ومدروسا وشاملا لكل الجوانب، غير مغفل لجانب منها ، علينا أن نسعى بكل جهدنا شعبا وحكومة لتطوير هذا البلد الفني الكبير ، وان ندخل التخطيط في حياتنا العقلية ، عوض ان نسير هكذا معصوبي العيون .

اذن فلتبدأ الحكومة منذ الان في تعميم رسالة المسرح في مديريات السودان التسع . ولتكن اولا في عواصم هذه المديريات ومن ثم تتدرج شيئا فشيئا الى المراكز وبقية القرى الصغيرة . ويقيني أن سذاجة هذا الشعب وبساطته سوف تيسران لها الامر تماما في كيفية تقبل التوعية والتثقيف ، ولتدعم هذه النهضة المسرحية التربوية الشاملة، كخطوة اولى بحملة لمحو الامية ، لان احصائيات الحكومة الرسمية تثبت ان مشكلة الامية وعدد الذين لا يفقهون مجرد كتابة اسمائهم تبلغ التسعين في المائة ، وهذه وضعية مؤسفة وخطيرة لا بد من شجبها قبل كل شيء .

وهكذا لا نستطيع ـ كما قلنا قبل سطور ـ ان نتحدث عن تمييز الخط الفاصل في فنون المسرح بين الجيد والرديء وامامنا هذه الكارثة الجليلة من قضية (الامية) . كما اننا لا نستطيع ان نتحدث عن الادب او عن تطويره في الريف . ومع ذلك فان هذا لا يمنع ان نقول ان للريف على علاته ادبه وفنونه واغنيته ، وله مظاهره الفكرية والفنية ، وله حكاياته واساطيره ، واعماله البسيطة التي تلائم ذوقه وحياته . غير ان هذه الفنون البسيطة هي الثروة الاصيلة الحقيقية التي يمكن تنميتها وحفظها وتطويرها وتهذيبها ، بعد شجب الامية عن الريفيين وحمايتهم ورفع مستواهم .

اننا نريد ان نخاطب حكومة السودان الراهنة لان املنا فيها كبير جدا ولانها جاءت ممثلة لرغبة الشعب السوداني وممثلة لآماله واتجاهاته وتحقيق امنياته مع اشقائه العرب . لذلك سنناقشها وننقدها ونطلب منها الممكن لا المستحيل ، فليس هناك كمال على الاطلاق ، ولا بد من ان نبعد كلمة الكمال هذه عن اذهاننا كلما نقدناها ، او طالبناها بالتطوير والتثوير والتقدم ، واثقين ان اية كلمة نكتبها في هذه الزاوية من (الاداب) القراء مراقبين ، او دارسين ، او ملاحظين لاوجه النقص الفكري والادبي والثقافي في شتى الالوان الانسانية ليست سوى مجرد رغبة في دفع التقدم عن طريق الابانة والتوضيح .

حسب الله الحاج يوسف

الخرطوم